الأستاذ الفاضل محمد اليعقوبي

يحدثنا عن والده

العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي

رحمه الله

أي خطب قد حلّ فيك فحلا ... يا شآم العلا عراك وجلاّ
أي خطب له النجوم تهاوت ... من ذراها صريعة وهي كلاّ
أي خطب رمى الزمان به العلم سراعاً بطعنة وهي نجلا

محمد اليقوبي من قصيدة يرثي والده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد ان لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حامل الرسالة ومؤدي الأمانة ، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

هذه الترجمة ليست إلا عجالة لا تفِ العالم الجليل الشيخ ابراهيم اليعقوبي حقهُ ،فالذي ستطالعه هو غيض من فيض ، فلقد جاوزنا في هذه الترجمة مواقفه الرجولية والمشرفة والمبدئيه ، واحترام العلماء على إختلاف انتماءاتهم له أيضاً ، كذلك احترام المواطنين على اختلاف اديانهم له.

كذلك لم أتطرف في هذه الترجمة إلى الإطالة عن تلامذته وإجازاته وجهاده ، ومراثيه والشعر والنثر الذي قيلا بحقه.

ولو شئت أن أوضح كل هذه الأمور لكان هذا العمل يتطلب مني كتاباً خاصاً كي ألقي الضوء على معالم هذا الشيخ الجليل.

ونحن إذ نلتقي نجل العالم الجليل الشيخ ابراهيم اليعقوبي رحمه الله وأعني الأستاذ الشيخ محمد اليعقوبي أمد الله عمره وجعله ذخراً.

نحاول أن نستقي من هذا الابن البار شيئاً هاماً ولو نقطة من بحر ماء هذا العالم. كي نوضحه ونعلنه ويكون منارة نقتدي ونهتدي بهديه وعلى خطاه نسير ، ذلك إن التشبه بالكرام فلاح...

● **أستاذ محمد اليعقوبي . . نحب أن تطلعنا على جانب من دراساتك وحياتك العلمية؟**

ـ تلقيت دراساتي العلمية في مجال العلوم الشرعية واللغوية والعقلية على سيدي الوالد منذ سن مبكرة ، عبر منهج مركز ، ذي مراحل متدرجة فحفظت ولما أجاوز الخامسة قسطاً من كتاب الله ، وعدداً وافراً من المتون العلمية المنظومة ، ومقتطفات من أمهات أشعار العرب ، كالمعلقات وبعض المفضليات ، وقصائد لأبي تمام والبحتري وحسان بن ثابت والمتنبي والمعري وكعب بن زهير والطفرائي وابن الفارض وابن دريد الأزدي .

كما حَبَّب ـ رَحمه الله ـ إليّ الشعر ، فطالعت أكثر دواوين المتقدمين ، ونخبة من دواوين المتأخرين كشوقي ، وحافظ إبراهيم ، وغيرهم .

ودرست عليه الفقه الحنفي والمالكي ، وأصول الفقه ، وعلم الكلام والمنطق ، وشيئاً من مبادىء الفلسفة وتفسير القرآن والحديث والنحو والصرف والبلاغة والعروض والوضع والمناظرة والأدَبَ واللغة . وقرأت عليه في كل فن من هذه الفنون عدة كتب دراسة دقيقة عبر خمسة عشر عاماً .

وأنا أفتخر ـ بفضل الله تعالى ـ أن لسيدي الوالد رحمه الله تعالى الأثر الأوحد في تكوين شخصيتي العلمية والأدبية تعليماً وتدريساً من جهة ، وتربية وإرشاداً من جهة أخرى . ولقد كان رحمهُ الله تعالى ـ يوليني من العناية القسط الأكبر يشهد بذلك تلامذته وعلماء دمشق . فقد كان يريدني نسخة عنه علماً وسلوكاً .

وهكذا حبب إلي الشعر تذوقاً ونظماً ، فقرضت الشعر وأنا في الثالثة عشر من عمري .

ابتدأت الخطابة يوم الجمعة في الناس وأنا في الرابعة عشرة من عمري ، وفي سنة ١٩٨٠م . عُينتُ خطيباً في مديرية أوقاف دمشق .

تسلمت وظيفة التدريس الديني بإدارة الإفتاء العام بعد وفاة سيدي الوالد

في مطلع عام ١٩٨٦م. كذلك أقوم بالتدريس أيضاً في بعض المعاهد الشرعية. وأحمل من الشهادات الليسانس في اللغة العربية وآدابها، وأعد العدة بمشيئة الله لمتابعة الدراسات العليا.

● **هل كنت تلازم والدكم الشيخ ابراهيم اليعقوبي؟**

ـ أنا أفتخر بأنني كنت ملازماً له كظله في حله وترحاله، في الدار وفي المسجد، في دور تلامذته، وفي زياراته للعلماء. في الاحتفالات والمجالس العامة، وفي المجالس الخاصة، بل أخصّ المجالس الخاصة.

ما من طالب قرأ عليه درساً منذ أن وعيت وميزت إلا وأمرني بإحضار نسخة من الكتاب لحضور الدرس أياً كان مستواه.

كان سيدي الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ جوهر حياتي والبناء الأساسي فيها، وعمدتي في كل علم، ومرجعي في كل معضلة، والمربي لي بحاله ومَاله.

وإن أسعد أيام حياتي هي الأيام التي كنت أقضيها بصحبته خادماً له ومتعلماً منه ـ رحمه الله ـ.

● **وكيف كنت توفق بين رفقة شيخك الوالد وبين دراستك؟**

ـ لم تكن دراستي تشكل أي عبء علي، فأنت تعلم أن الدراسة في المراحل الأولى غالباً ما تستمر من السابعة صباحاً إلى الحادية عشرة ظهراً، وهو وقت قل ما كان ـ رحمه الله ـ يلتقي فيه بالناس، فدروسه كانت بعد الفجر وبعد الظهر وبعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء.

ولم تكن دراساتي تستغرق مني أكثر من ذلك الوقت، إلى أن انقضت في فترة مبكرة أول سنة ١٩٧٩م، فتفرغ وقتي بعدها لملازمته والاستفادة منه.

أما عن الدراسة الجامعية، فما كنت أعرف منها إلا أداء الامتحانات وقراءة المقررات في الدار، ذلك أن البرنامج العلمي المكثف لغة ونحواً وصرفاً

وأدباً وشعراً الذي كان قد أعده لي سيدي الوالد ـ رحمه الله تعالىٰ ـ يفوق بكثير مناهج الجامعة .

● **نحب أن تطلعنا على نصيحة كان والدكم دائماً يرددها على مسمعك .**

ــ كان دائماً يردد على مسمعي قوله : عليك بطلب العلم وذكر الله تعالى ، عليك بالإخلاص وإياك والرياء .

● **أصدرت كتاباً حمل عنوان : شرح الياسمينية في الرياضيات ، نحب أن توجز لنا هذا العمل ، ونبذة عن أعمالك الأخرى ؟**

ــ عملي ومجالاته في الدعوة الإسلامية خطابة وتدريساً ، وهو مبني على دراسة واسعة لعلوم الشريعة .

وتخصصي الجامعي في اللغة العربية وآدابها وعلومها ، مع التدريس لمختلف علومها ، غير أنه قد يكون غريباً أن أول كتاب صدر لي لا يتصل بهذه العلوم . فهو في مجال (الرياضيات العربية) وهو كتاب اللمعة المارديني في شرح الياسمينية في الجبر والمقابلة ، لبدر الدين محمد بن محمد سبط المارديني المتوفي سنة ٩١٢ هـ ، شَرَحَ فيه الياسمينية المشهورة لابن الياسمين المتوفي سنة ٦٠١ هـ .

وقد نشرت هذا الكتاب عن أربع نسخ مخطوطة ، إحداها نسخة خاصة من مكتبة سيدي الوالد ، والأخرى الثلاثة من ظاهرية دمشق . قمت بتحقيق النص والتقديم له بدراسة مفصّلة عن ابن الياسمين ومؤلفاته في الرياضيات والياسمينية وشروحها .

والذي قادني إلى هذا الكتاب هو سيدي الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ الذي كانت له عناية بالرياضيات والفلك على طريقة المسلمين ، وقد درسها منذ صباه على علماء متخصصين فزرع فيّ حب هذه الكتب ، فقرأت عليه بعضها كخلاصة الحساب للعاملي ، ورسائل في الفلك ، وشرح الياسمينية . هذا ثم إنه أمَرني بإعداده للنشر انطلاقاً من أنه يجب إطّلاع الشباب المثقف اليوم على

النموذج من الدراسات العلمية الإسلامية في كتاب كان يدرس في الأزهر قديماً ولا نختلف ما فيه من معلومات في مسائل الجبر والمقابلة عما يتلقاه طلاب المدارس الثانوية.

من أعمالي الأخرى كتاب قيد الطبع الآن بعنوان (التسعير في الفقه الإسلامي) عرضت فيه لهذه المسألة وآراء المذاهب الأربعة فيها مع استعصاء أدلتهم وتخريجها والترجيح فيما بينها.

وهناك بعض المخطوطات الأخرى أقوم بتحقيقها في الحديث والفقه وأصول الفقه ، وأبحاث أعدها في تاريخ العلوم عند المسلمين.

ولي ديوان شعري حافل أعد قسماً منه للنشر . لكن ما يشغل معظم وقتي هو التدريس ، ثم إعداد مؤلفات سيدي الوالد للنشر.

● **يقال إن موهبة الشعر تأتي بالوراثة ، ونحن نعلم أن الشيخ ابراهيم اليعقوبي كان شاعراً مالكاً لزمام الشعر ، متمكناً منه تمكنه في سائر العلوم فذاً ، برأيكم هل تصدق هذه النظرية ؟**

ــ تتضافر على بناء الشاعر عدة عوامل نستطيع أن نردها إلى عوامل شخصية أو نفسية ، وعوامل أجتماعية أو بيئية.

ولا أرى أن للوراثة أي أثر في تكوين الشاعر. . والشاعر الفنان هو العبقري الذي يبدع. وهذه العبقرية فرع عن ذكاء متقد. وهذا الذكاء أستطيع أن أقول فيه أن الشاعر يحمله عن أبيه مع الجينات (أو الصِّبغيات) التي تحمل الخصائص الوراثية التي ينقلها الأب لإبنه من طول ولون ومن جملتها درجة الذكاء.

فالبيئة التي نشأت فيها بيئة شعر ، حفظت وأنا قبيل الخامسة عشرة قريباً من عشرة آلاف بيت ، والعوامل الشخصية : تذوق أدبي ، ومعرفة بلغة العرب مع ترنم موسيقي بالشعر . كل ذلك جعل الشعر يسيل على اللسان ، وأنا أتكلف لنظم قصيدة في موضوع أتوجه إليه أقل بكثير مما يتكلفه كاتب أي مقالة صحفية.

● **إذاً نحب ان تطلعنا على مقطوعات من قصائدك الشعرية ومناسباتها.**

ـ طرقت من فنون الشعر الغزل والوصف والابتهال ومدح النبي ﷺ والرثاء ، ولي من الشعر ما لا يدخل تحت باب من الأبواب السابقة ، أستطيع أن أقول فيه إنه شعر واقعي ، والمدح ، وقد مدحت سيدي الوالد بقصيدتين ، ولي قصائد تأملية تدخل في باب التصوف والفلسفة.

قلت من قصيدة لي بعنوان رباعيات مطلعها :

تعرض إلى نفحات الإله :

ودع كل غير عن الحق لاه تنل عند ربك أعظم حياه

وذلك للعبد أمضى مناه

تفكرت فيّ وفي ذا الوجود فأيقنت أن الحياة قيود
وأن الورى بين جمر قعود سيحرق كلاً لهيب هواه
بحثت عن السِّرسِرِّ الحياه قرأت جميع سطور الجباه
وجبت الفضا طويت علاه ونقبت في الكون بين ثراه

ـ وقلت في قصيدة أخرى :

قم من السجن وحطم ذا الوثاقا وادخُلَنْ في مهيع الخلد السباقا
قم إلى النور وعانق طيفه تلق فيه البشر قد زاد ائتلافاً
حي شمس الروح لما أشرقت فهي سر فيه هذا الكون راقا
واترك الأكوان واعرج راكبا نحو مسرى الروح والقلب البراقا
وعقن في خباياه كما شئت تزدد عن سجاياك افتراقا
فالوجود الحق أجلى مظهر لمعانٍ عز مداها الكون ضاقا

ـ وهذه القصيدة من عشرين بيتاً

ـ ولي في القرآن الكريم قصيدة قلت فيها .

أنزع القلب من جنى الوحي نوراً واملأ الأرض من شذاه عبيراً

رتل الوحي ما تشاء فإني ... ملك الذكر خافقي والضميرا
وأعد ذكر آيه خالدات ... قد طوين الأيام بله الدهورا
بلغ الكون يا محمد أن اللّـ ... ـه أهدى إلى الوجود الحبورا
ختم الله وحيه بكتاب ... ترك الكون في مداه أسيرا
يتراءى على شفاهك أسيرا ... سرمدياً لدى القلوب أثيراً
جمع الأنس والجلال نديمـ ... ـيْنِ وقد فجر الهدى تفجيرا
رقة في فصاحة وظهور ... في خفاء قد أعجز التفسيرا
وبيان ما فوقه من بيان ... نوره صيّر الضرير بصيرا

ـ ولي في الحب مقطوعة مطلعها :

يا فؤادي تعز بالصبر إن الحـ ... ـب مر والصبر فيه تعلة

ـ ولي في مدح سيدي الوالد قصيدتان كنت أرسلتهما اليه من بيروت لدمشق ، أولاهما مطلعها :

هذي رسالة مولع ... تهدي لكم لا كالرسائل
برحيق ماء الحب قد ... سطرت على ورق الخمائل
أوصيت قلبي أن يطير ... بها إلى خير المنازل
حيث الخضم البحر مَنْ ... جمعت له كل الفضائل

ـ وقلت في نهايتها :

ذو همه شماء تصعد ... للعلى والكل نازل
ذو عزمة صماء تكسر دو ... نها عنق المقاتل
صيغت له الأخلاق برداً ... فارتدى غرر الشمائل
عذراً فإن القول في ... مَدْحِكُمْ كالسيل هاطل
واللفظ يقصر والمعاني ... في القلوب غدت مواثل
لكن أشعاري على ما في ... الفؤاد أتت دلائل
فإليكم مني التحية ... ما ترنمت البلابل

ـ وقلت في القصيدة الأخرى :

حبر المدح يا قلم وانظم الدر والحكم
امل ما شئت فالمداد من النور مقتسم

ـ ورثيته بقصيدة مطلعها :

أي خطب قد حلّ فيك فحلا يا شآم العلا عراك وجلا
أي خطب له النجوم تهاوت من ذراها صريعة وهي كلا
أي خطب رمى الزمان به العـ ـلم سراعاً بطعنة وهي نجلا

ـ ولي موشح مطلعه :

يا نديمي أفيقا إنني صب متيم
واسقيا قلبي رحيقا من سلاف لم يحرم
قلبي المشتاق يصبو ليس في ذلك ملامه
والهوى مذ كنت أحبو نال من قلبي مرامه
لم يكن قط شفيقاً بي فقل لي كيف يرحم
كان بالخلد حقيقاً عاشق في الحب معلم
تسمع الأكوان منه أنّة ثم زفيرا
ثم تخفي السر عنه هل ستصليه سعيرا
إنني أهوى غزالا فاتن الطرف أنيقا
أنهك الجسم هزالا وسقاني كأس علقم

ـ ولي كل عام تقريباً قصيدة في مدح النبي ﷺ بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف ، كان آخرها قصيدة العام المنصرم ١٤٠٧هـ . ومطلعها :

سأسكب من عيني خير الورى الدمعا وأطلق أنات فؤادها ينعى
سأطلق عن في[1] القيد فالقلب مثقل به زافرات كون يسلبني ضلعا
سأنظم خير الخلق شعراً أبثه جوى أمة أضحت بأرض الخنا ترعى

ـ وقد سلكت فيها مسلك النقد لواقع المسلمين الأخلاقي وادعائهم

---

(١) في : أي فمي .

الإسلام مع إهمالهم لكتاب الله وسنة النبي ﷺ

ـ ولي قصيدة تدخل في باب الإخوانيات مطلعها :

عـللاني بـرشـفـة أخـويـا واسقيـاني المـرام صـرفـاً هَـنيـاً
وأعـيـدا لـي الـكـؤوس فـإنـي شمت فيهـا الحبيب مسكاً نـديـا
وامـلأهـا من الشـراب لعـل الحـ ـب يـبـدو خـلالـه مـرئـيـا

● **يقال إن الطمع في مثل هذه المواقف مستحبُ ، نحب أن تطلعنا أيضاً على آخر قصيدة لك لم تنشر ، ويكون لنا السبق في نشرها.**

ـ آخر قصيدة لي نظمتها فيها أقول :

تـعـرض إلى نـفـحـات الإلـه ودع كـل غـيـر عـن الـحـق لاه
تـنـل عـنـد ربـك أعـظم جـاه وذلـك لـلعبـد أمـضى مـنـاه

* * *

تـعـرف إلى الله وقـت الـرخـاء وأكـثـر من الـذكـر ثم الـدعـاء
يـمـدك بـالـعـون عـنـد الـبـلاء فـمـا خـاب عـبـد منـيـباً أتـاه

* * *

ولا تـشـغـلـنَّـك دنـيـا ومـال ونـفـس تـحـب بـريـق الـلآل
عـن الفـكـر فيـمـا إليـه المـآل فـيـوم الـحـسـاب قـريـب إنـاه

* * *

فـدنـيـاك سجـن وعيـشـك نـوم وأوقـات سـعـدك يـوم ويـوم
تـنـبـه فـإن حـيـاتـك حـلم وذا الـعـمـر يـمـضـي كـظل أراه

* * *

فـطوبى لمـن كـان يقـظان حـيـا يـروم فـكـاك الـوثـاق أبـيـا
يـنـادي إلى الله هـيـا فـهـيـا فـهـذا سبـيـل الـعلى والـنـجـاه

* * *

تـفـكـرت فـيّ وفي ذا الـوجـود فـأيـقـنـت أن الـحـيـاة قـيـود

وأن الورى بين جمر مقود ... سيحرق كلاً لهيب هواه

* * *

بحثت عن سِرِّ الحياة ... قرأت جميع سطور الجباه
وجبت الفضا وطويت علاه ... ونقبت في الكون بين ثراه

* * *

قطعت الفيافي وجبت الوهاد ... وسرت مع الوحش في كل واد
يرافق عينيّ فيها السهاد ... سهاد محب جواه كواه

* * *

فهمت مع الورق بين الغصون ... إلى أن فهمت خفي الشجون
فكادت تلم بنفسي المنون ... لفرط الحنين ووقع الشكاه

* * *

أو رقاء من ذي الطيور هتوف ... ستمنع عني تلك القطوف
وتسقي فؤادي كأس الحتوف ... أنيناً وشوقاً ألاقي جواه

* * *

فيا داعي الحق أنت سنا ... ينير طريق النجاة لنا
وأنت نذير الآله دنا ... ليجلو عن كل قلب دجاه

* * *

إلهي أنادي فكن لي مجيباً ... فما زلت من كل شيء قريباً
فهبني علماً ينير الدروبا ... فأكشف عن كل سرٍ أراه

* * *

إلهي إليك الرجا والحنين ... وأنت برحماك غير ضنين
فقل لي أنت من الآمنين ... ونج فؤادي مما جناه

* * *

إلهي عبدك يرجو الوصالا ... فجد واضح القلب منك نوالا
فأنت الرحيم الكريم تعالى ... تراه وتعلم ماذا دهاه

* * *

إلهي هجرت الورى في رضاكا وها أنا ضيف أتيت حماكا
فأكرم إلهي عبداً أتاكا فأنت من الكون كل مناه

* * *

● **والدكم سماحة العلامة الشيخ ابراهيم اليعقوبي له باع طويل في العلم ، ومدرسة فريدة . . . هل لكم أن تطلعونا بصفتكم كنتم ملازمين له طوال نشأتكم على نشاطه العلمي ؟**

ــ العلامة الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ من مواليد سنة ١٩٢٤م . نشأ في عائلة عريقة في العلم والنسب ، ينتهي بنسبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله ﷺ .

والده العارف بالله الشيخ اسماعيل اليعقوبي ، كان من كبار الأولياء والزاهدين ، وعمه الشيخ محمد الشريف اليعقوبي ، كان من كبار العلماء والأولياء إماماً للمالكية في جامع بني أمية ، توفي سنة ١٣٦٢ هـ .

وخاله الشيخ محمد العربي اليعقوبي فقيه مالكي كان إماماً للمالكية في جامع بني أُمية بعد ابن عمه الشيخ محمد الشريف .

جده السيد الشيخ محمد الصديق اليعقوبي كان حافظاً للقرآن جامعاً للقراءات السبع فقيهاً مالكياً يستظهر موطأ الإمام مالك .

في تلك البيئة العلمية ، وبين أحضان أولئك العلماء نشأ العلامة الوالد رحمه الله تعالى ، فشب على العلم ، وفتح عينيه على كتاب الله تعالى وحديث رسوله الكريم ، ومتون العلم ، وعيون الشعر حفظاً . وتلقى تعليمه بعد ذلك على يد ثلة من علماء دمشق آنذاك منهم العلامة الشيخ عبد القادر الاسكندراني ، والشيخ عبد المجيد الطرابيشي ، والشيخ هاشم الخطيب الحسني ، والسيد الشيخ محمد الهاشمي ، والمحدث الشيخ أحمد بن محمد بن يَلَّس التلمساني ، والشيخ علي الدقر ، والشيخ محمد بركات ، والشيخ الحافظ محمد صادق علوان . وحضر بعض الدروس العامة للمحدث

الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني برفقة والده. والفقيه المالكي عبد القادر الدكالي بصحبة والده ، والشيخ محمد العربي العزوزي . وغير هؤلاء ممن لا أستطيع إحصاء أسمائهم. ودرس على علماء من الهند ومن المغرب والجزائر كانوا يترددون على دمشق.

تلقى على هؤلاء وغيرهم علم الكلام والفقه بالمذاهب الثلاثة الحنفي والمالكي والشافعي ، وأصول الفقه والتفسير والحديث رواية ودرايه ، وعلوم الآلَةِ من لغة ونحو وصرف وبلاغة وعروض ووضع والعلوم العقلية من فلسفة ومنطق ومناظرة.

وكان لدأبه ودراسته وجده الأثر الكبير في تفوقه ، فقد كان يصل الليل بالنهار منقباً بطون الكتب محققاً ومراجعاً حتى صار مرجع البلاد الشامية في الفتوى ومعضلات المسائل.

يقول عنه علماء دمشق : هو في كل فن أعلم به من أهله . ولا عجب في ذلك ، ففي الفقه كان يكاد يحفظ حاشية ابن عابدين والهداية وكتب ابن هشام في النحو : المغني والتوضيح وشرح الشذور والقطر غيباً . فقد درّس الحاشية مراتٍ ، ودرّس المغني على ما يزيد على عشرين مرة ، ودَرّسَ الهداية اثنين وعشرين مرة.

هذا عدا الذي أقرأه ودرسه في الأصول كالتلويح والمرآة والموافقات ، وجمع الجوامع وشروح المنار ، وشرح المنهاج ، وغيرها . وفي المنطق معيار الغزالي ، وشرح الشمسية للقطب وشرح التهذيب ، وشروح السلم ، وغيرها . وفي علم الكلام مواقف العضد والمسامرة ، وأصول الدين للبغدادي ، وشروح عقائد السنوسي والجوهرة .

وفي النحو شروح الألفية لابن عقيل وابن هشام ، والأشموني والتصريح والصبان ، وشرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، وكتب ابن هشام ، وفي اللغة القاموس ومقاييس اللغة لابن فارس . وفي التفسير . أقرأ الكشاف وتفسير النسفي والشهاب الخفاجي ومحاسن التأويل .

وفي الحديث الكتب الستة والموطأ والدارمي والترغيب والترهيب وجامع الأصول.

وأقرأ في علوم القرآن وعلوم الحديث والتصوف والبلاغة والعروض والفقه بمذاهبه الثلاثة (الحنفي والشافعي والمالكي) والأصول وسائر علوم الشريعة والآلة والعلوم العقلية وعشرات الكتب.

فالكتب التي درّسها تزيد على خمسمائة كتاب ولا عجب في ذلك فقد كان وقته كله للعلم دراسة وتدريساً.

أعانه في ذلك ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار وتقوى وإخلاص ومجاهدة وعبادة مستديمة ، وزهد في الدنيا وإعراض عنها.

ثم حافظه قوية فقد كان يستظهر أكثر من ثلاثين ألف بيت في متون العلم فقط ، غير ما كان يحفظه من الشعر العربي . وكان يحفظ دواوين كاملة كديوان حسان بن ثابت ، وديوان المفضليات ، وديوان الحماسة ، وديوان ابن الفارض ، وأكثر ديوان المتنبي ، وديوان الصادح والباغم ، وأقساماً من دواوين كبار شعراء العربية في مختلف العصور . وكان يحفظ مقامات الحريري .

أما عن مجلس درسه فحدث ولا حرج مجلس تحقيق وترجيح ومناظرة واستدلال ، يستوفي الأقوال والأدلة في كل مسألة وكأنه يقرؤها من كتاب أمامه.

وكان يتمتع بناحية قل من شاركه فيها ألا وهي القدرة على تبسيط العلوم وشرح أشد مسائل العلم صعوبة ، بحيث تدخل إلى ذهن المبتدىء من غير استئذان ، كان يفسر القرآن مثلاً ، فيتكلم في اللغة والنحو والفقه والأصول والمنطق والبلاغة وغيرها مما يحتاجه المقام إملاءً ، يمزج ذلك برأي له صائب ، وفكر ثاقب ، نتج عن نور في القلب وإخلاص لله تعالى.

فيتكلم بكلام يفتح الله به عليه لا تجده بين ثنايا الكتب فينطبق عليه قول الله تعالى : ﴿ وعَلَّمنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمَاً ﴾.

كان رحمه الله تعالى خطيباً عرفه رواد مساجد دمشق بيناً فصيحاً مرتجلاً يصدر كالسيل.

● **وكيف كانت علاقة الشيخ اليعقوبي مع زملائه العلماء والشيوخ ؟**

ــ شهد له شيوخه بالفضل ، وعرف له أقرانه العلماء منزلته ، فكان شيوخه وأقرانه يرجعون إليه فيما ينوبهم من عويصات المسائل ومعضلات النوازل .

فقد كان السيد المكي الكتاني مفتي المالكية كثيراً ما يحيل عليه ما أشكل من الفتاوى . ولما سئل المرحوم العلامة فقيه الحنفية المجود لكتاب الله تعالى الشيخ عبد الوهاب الحافظ إلى من نرجع في الفقه الحنفي إن لم نجدك ؟ قال : اذهبوا إلى الشيخ ابراهيم اليعقوبي في جامع بني أمية (كان هذا الكلام أواخر الخمسينات) .

وكان العلامة مفتي الديار الشامية الشيخ محمد أبو اليسر عابدين يجله ويقول : ليس في أصول الفقه وعلوم العربية في سورية من يجاري الشيخ ابراهيم : ويقول : هو خليفتي من بعدي .

وكانت ترده الفتاوى من علماء المحافظات السورية ، ومن خارج دمشق من أوروبة والبلاد العربية ، فيجيب عليها .

كانت تربطه بعلماء دمشق علاقة محبة ومودة وتقدير ، كان يحفظ للعلماء مكانتهم وللصالحين منزلتهم .

وكان العلماء يعتقدون فيه الولاية ويلتمسون منه الدعاء .

أثنوا عليه في حياته وأثنوا عليه بعد وفاته .

قال عنه العلامة الشيخ محمد كريم راجح : (كان قمة في العلم) .

وقال عنه الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : (وصل في العلم ذروته) . وشهد له أيضاً بالاستفادة الشخصية من علمه وملاحظاته ، وتمنى لو كان ملازماً له .

ولما اجتمع به العلامة المرحوم عبد العزيز عيون السود استجازه وتبرك به وأجله .

● **وكيف كانت علاقته أيضاً مع وزارة الأوقاف وهل كان يشغل منصباً أو وظيفة . . ما هي ؟**

ـ سنة ١٩٥٢ تولى وظيفة الإمامة في عدد من مساجد دمشق آخرها جامع بني أُمية الكبير حيث كان إمام المالكية ، ثم إمام الحنفية حتى سنة ١٩٧١ م .

وعين بمديرية أوقاف دمشق مدرساً لجامع درويش باشا منذ سنة ١٩٥٤م حتى وفاته ، ودخل العلامة الوالد رحمه الله مسابقة علمية عالية نظمتها إدارة الافتاء العام سنة ١٩٥٧م فنال الدرجة الأولى على القطر السوري وعين مدرساً لدمشق بمساجدها. فتولى التدريس في الجامع الأموي الكبير بها وجامع العثمان حتى انتقل الى الرفيق الأعلى.

قام بإلقاء محاضرات إصلاحية أخلاقية في سجن دمشق (القلعة) منذ سنة ١٩٥٨ حتى ١٩٦١م وكانت ذات نفع كبير.

تولى سنة ١٩٧٠م وظيفة الخطابة في جامع الطاووسية وسط دمشق وما زال يمارسها حتى منعه المرض .

كلف منذ سنة ١٩٨٣م من قبل وزارة الأوقاف وإدارة الإفتاء العام بتدقيق الكتب والمنشورات الإسلامية حتى وفاته.

كان رحمه الله مرجعاً علمياً لوزارة الأوقاف وإدارة الإفتاء العام في المعضلات من المسائل العلمية والفتاوي الشرعية .

● **من هم شيوخ العلامة اليعقوبي ؟**

ـ شيوخه بالدرجة الأولى الذين درس عليهم واستفاد منهم وهم .

ـ والده العارف بالله تعالىٰ الشيخ اسماعيل اليعقوبي
ـ السيد الشيخ محمد الهاشمي .
ـ الشيخ محمد أبو الخير الميداني .
ـ الشيخ محمد هاشم الخطيب .

ـ الشيخ عبد المجيد الطرابيشي .
ـ الشيخ علي الدقاق .
ـ الشيخ محمد العربي العزوزي .
ـ الشيخ محمد التلمساني .
ـ الشيخ عبد القادر الاسكندراني .
ـ الشيخ سعيد البرهاني .
ـ الشيخ عبد الوهاب الحافظ .

وحضر دروس علماء آخرين ، واستفاد من علماء آخرين من خارج القطر السوري كالشيخ عبد الكبير الصقلي من المغرب ، والشيخ علي البوديلي من الجزائر .

● **هل لكم أن تعددوا لنا أشهر تلامذة الشيخ اليعقوبي ؟**

ـ من المصعب أن أُعدد تلامذته فهم يبلغون الآلاف فقد كانت حلقات درسه مفتوحة لكل من يحضرها في المسجد أو في داره ، لكن كلمة واحدة تعبر عن ذلك خير تعبير ، وهي أن معظم العلماء اليوم في دمشق وغيرها في سورية قد تلقوا العلم على يديه أو استفادوا منه كما أن عدداً من كبار العلماء خارج سورية واساتذة الجامعات قد درسوا عليه ، وهم الآن ينشرون علمهم ويقومون بالدعوة الى الله في مساجد دمشق وغيرها ، منهم الشيخ احمد خورشيد ، والشيخ ابراهيم الهندي ، والشيخ أسعد الصاغرجي ، والشيخ حسام الدين فرفور ، والشيخ رجب ديب ، والشيخ بشير الرز . ومنهم من يحملون أعلى الشهادات الجامعية في التخصص الإسلامي كالدكتور عبد اللطيف الفرفور ، ومنهم عدد وافر من أساتذة اللغة العربية في الثانويات العامة .

● **ما هو رأي العلامة اليعقوبي في الصوفية والمتصوفين .**

ـ التصوف هو العمل بالعلم . والصوفي عالم عمل بعلمه » .

« التصوف أخلاق ، فَمن زاد عليك في التصوف فقد زاد عليك في

الأخلاق ومـن زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف » .

هذا ما كان يردد العلامة الوالد صدد ذكره للتصوف ، ومن خلال تعريفيه هـذين للتصوف نستطيع أن نشـرح صوفيـة العلامـة الوالـد ورأيه في الصـوفية مستنيرين بمنهجه العملي وسلوكه اليومي .

كان يرى التصوف تعبيراً عن مقام الإحسان المشار إليه في الحديث النبوي الصحيح لما سأل جبريل النبي ﷺ : ما الإحسان ؟ قال : « **أن تعبد الله كأنـك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » فالتصوف تحقيق لهذا المقام .

ولعلك تسأل ما هو السبيل إلى ذلك ؟

السبيل عند العلامة الوالد هو (المجاهدة) ، السبيل هو ما سلكه وما فعله النبي ﷺ حين كان يقوم من الليل حتى تورمت قدماه ، حين كان يذكر الله على جميع أحيانه ، حين كان يختلي في غار حراء الليـالي ذوات العدد وحين كـان يدعو قومه إلى الله تعالى ، وحين كان يعيش بين الصحابة معلماً لهم ومرشداً ، وحين كان يجاهد الكفار داعياً ، إلى الله ناصراً دين الله .

هذا هو السبيل .

الدراسة الفلسفية لأفكار الصوفية ونظرياتهم وحفظ مصـطلحاتهم والترنم بأشعارهم لا يجعل المرء صوفياً أبداً .

كما أن الانقطاع إلى الله تعالى وإلى ذكره وعبادته والتوكـل عليه والانعزال عن الدنيا ، هو وإن كان جزءاً ومرحلة مهمة من المراحل التي عبر بها الصوفي إلا أنه لا ينبغي له التوقف عندها بل يجب عليه أن يتخطاها لينتقل إلى مـرحلة الجهاد والدعوة إلى الله تعالى .

وكم كـان يردد رحمـه الله تعالى أن طلب العلم ذكـر لله تعالى من جملة الأذكار ، وأن مجلس العلم أفضل من ذكر الله تعالى ، لأن مجلس العلم فرض عين وذكر الله تعالى مندوب إليه ، وكان يفضل درس العلم على صلاة النافلة ، ميزانه في ذلك قواعد علم أصول الفقه التي تجعل المصلحة العامة مقدمة على

المصلحة الخاصة ، والدرس العلمي الذي يلقيه فيه مصلحة عامة للناس ، وصلاة النافلة فيها مصلحة خاصة لنفسه ، فكان يقدم المصلحة العامة .

ومن أهم ما كان يركز عليه في التصوف (العلم) ، وكان كثيراً ما يردد مقاله الإمام أبي الحسن الشاذلي : « طريقنا هذه لا تعطى إلا للعلماء » .

وكان يرى أن آفة التصوف في هذا العصر من قبل الجهل ، فقد دخل فيه قوم جهال ، لم يتمكنوا في علوم الشريعة فهماً لكتاب الله وفقهاً لأحكامه وتمسكاً بسنة رسوله ، فزاغوا وضلوا وتاهوا في بيداء واسعة ليس لهم فيها دليل من فقه يرشدهم ولا أثاره من علم يتمسكون بها . فأساؤوا إلى الإسلام وأساؤوا إلى التصوف .

على أن هذا الصنف من الناس ليسوا إلا أدعياء التصوف ، لأن الصوفي هو الذي يقتفي أثر النبي ﷺ ، والصوفي هو الذي يطبق أحكام الله تعالى أولاً ، والصوفي هو الذي يكون قدوةً للناس في علمه وعمله .

كانت له رحمه الله تعالى كلمات وآراء في كثير من كتب التصوف ورجاله لا يتسع المقام لبسطها هنا .

● **بماذا امتاز الشيخ ابراهيم اليعقوبي ، وكيف كان يعيش في منزله ؟ .**

ــ أهم صفتين تميز بهما (الزهد والتواضع) وكانت حياته مع الناس ومع أهله بسيطة جداً لا تكلف فيها . كان زاهداً بما يسعى إليه الناس من مال ومناصب ، متحلياً بأخلاق النبي ﷺ ،من تواضع ولين ، يقف للسائل ولو صغيراً الساعة والساعتين ، يستقبل طالب العلم أو السائل في داره ، وقد يجلس معه خمس ساعات مجيباً له مرشداً لا يمل ، ولا يرد أحداً جاءه متعلماً أو مستفتياً .

لا يتكبر عن زيارة إخوانه ، يصل رحمه ، حليماً إلا إذا انتهكت حرمات الله تعالى فيغضب غضباً شديداً .

أما إذا خلا في داره ، فلم نكن نراه إلا ذاكراً لله تعالى أو مطالعاً في كتاب

أو معلماً لنا ومرشداً ومربياً وموجهاً ، وكان لنا وللناس قدوة بأعماله وسلوكه وشخصه وأخلاقه ، متأدباً بأدب المصطفى ﷺ .

ربى أولاده منذ الصغر على طاعة الله تعالى ورعاهم واهتم بتعليمهم ، وقد أوضحت لك يا أخ محمد في إجابات سابقة حول تعليمه لي . وإن دل ذلك على شيء ، فإنما يدل على عناية كبيرة منه بأبنائه ، وتلك ناحية كان يرى عدداً كبيراً من العلماء مقصّرين فيها بله عامة الناس .

● **الشيخ اليعقوبي الكبير رحمه الله كان ضليعاً في اللغة والأدب ، ومدرسة في الفقه أيضاً ، هو ضليع في نظم الشعر ، نحب أن تسمعنا بعضاً من قصائده .**

ـ عرف العلامة الوالد رحمه الله تعالى قرض الشعر منذ فتوته ، وكان فيه مجيداً ، إلا أنه لم يكن متفرغاً للشعر .

له قصيدة سماها لامية النسيب بلغت ثمانين بيتاً ونيفاً يقول فيها :

يا خاطب الغيد بين البيض والأسل ... وقاهر الصيد بين البان والطلل
عرضت نفسك للأهوال منفرداً ... تعل فيها من الأسقام والعلل
فاشرب بكأس الهوى ما شئت من سقم ... بين الضلوع بلا آه ولا ملل
واصبر ففي الحب ألوان العذاب منىً ... يستعذب الصب منها كل منهمل
فما قضيت حقوق الحب خالصة ... ولو قضيت من الهجران والمطل[1]
فتنت يا قلب في حب الملاح فتىً ... فما لك اليوم غير الوجد من شغل
غرست نار الهوى في القلب من صغر ... فشبّ منك لظاها اليوم في المقل
فاجن الهوى دمعة حرّاء قد سكبت ... من منهل في صميم غير مندمل

ـ انتقل فيها من النسيب إلى الفخر ثم إلى مدح النبي ﷺ .

ـ وله في الغزل :

---

(١) (قضيت) الأولى بمعنى أديت ، والثانية بمعنى مت .

أبت الوصال ولم ترق لحالي ... هيفاء شيب جمالها بدلال
صدّت ولو أن النوائب كلها ... من دون ذلك ما خطرن ببالي
أسرت فؤادي واللواحظ مذ بدت ... مختالة بقوامها العسّال
وتملكت قلبي بلطف إشارة ... وبحسن دل بل بلحظ غزال
فغدوت من صرعى سهام نواظر ... مُرضٍ وطرف ناعس ميال

ـ وهي مقطوعة جميلة تبلغ خمسة عشر بيتاً .

ـ وله قصيدة تزيد على الخمسين بيتاً جعلها جواباً لرسالة بعث بها إليه أحد إخوانه وضمتها تهنئة بعرسه قال منها :

أعبير مسك فاح أم بدر سرى ... ورحيق ودٍّ قد تمثل أسطر
أم ذاك قلب خافق بوداده ... قد جاء يخبر فيه عما أضمر
بل روح من شرب المحبة قد هفت ... ترنو إليّ بلحظ ظبي أحور
قد زارني يقظان طيف خياله ... برسالة يامر حباً بك زائر
نور تألق في سماء جوانحي ... شمساً غدا منها القواد منور
فجمعت في روض الفريحة حزّداً ... منها يغار البدر لما أقمر
ودعوت سحبان بن وائل حثنياً ... فأجاب طوعاً نحو ذلك وانبرى
سرعان يخطر بين غزلان الحر ... ورقى لذلك من فؤادي ونير
وجلا علينا من صفائك روضة ... فغدا لأنفاس الوجود معطر
وتلا بشوق آي مدحك خاشعاً ... وشدا بذلك مرنّماً ومحبِّر
فالغصْن مال على الرياض بعطفه ... وكأنه نشوان من راحٍ سرى
والعندليب عليه قام مفرداً ... لحناً به سلب العقول وخير
والروض باح بسره أنفاسه ... طرباً بمغناه ففاحت عنبر
ريح الصبا بالروض ضاع أريجها ... مسكاً على أرجائه فتعطر
وعليل أنفاس النسيم ترقرقت ... روحاً له مجرى الحياة لقد جرى
والعود حن وأظهرت أوتاره ... من أطرب الألحان ما قد حير
والناي رق عذوبة وبصوته ... قد أدهش الألباب مما أظهر

وحمام أيك الروح قد صدحت على ... أفنانه وصبا النسيم قد انبرى
وترنمت ورق الحمام ونمنمت ... روض الحمى بالوشي حتى أزهرا
وهناك ألحان الغناء تألفت ... من كل لحن رق عن أن يظهرا
والكل قد خلع العذار تهتكاً ... وصبا إلى عهد الشباب مشمرا
ما بين صب في الغرام قد انتشى ... ومتيم في الحب قد هجر الكرى
وأنين آهات تصاعد حرقه ... وزفير أكباد بدا متسعرا
من كل من رضع الصبابة والهوى ... طفلاً فشب على الغرام مغامرا
فتبادل القوم الغرام وبادروا ... شرب المدام الصرف حتى أسكرا
من راح غصن كالغزالة أهيف ... يبدو فتحسبه صباحاً مسفرا
من خمره سكر المدام لقد بدا ... وبطرفة الفتان قد سحر الورى
ونديمهم ريم أغر وظبية ... لمياء تحكي البدر لما أن سرى
رقصوا على نغم الوجود وأعلنوا ... هتك الستور فلا ملام ولا مرا
هاموا حيارى عند ذكر حبيبهم ... رغم الذي قدمان فيهم وافترى
وتمايلوا والكل ينشد لحنه ... ثملاً فلاح له الصباح وأسفرا
فأشار سحبان بن وائل معلناً ... للقوم فيه ونبهاً ومذكّرا
فغصون أزهار الرياض تبسمت ... وغدا الجميع مهللاً ومكبرا
نبهت فكري عند ذاك وكان في ... سنة الخيال وليس في سنة الكرى
فصحا وثاب لرشده مما جرى ... وأثاب للرحمن ثم استغفرا
يا ابن الفضائل والمكارم والتقى ... والمجد قد هنئت في عرس جرى
قد قمت فيه بسنة ميمونة ... وطلعت فيها طاهراً ومطهرا
اليمن في يمناك دام على المدى ... والسعد قد وافاك في فلك سرى
رقت حواشي اللطف منك طبيعة ... فغدوت سراً للفؤاد منورا
طابت ليالي الأنس فيك وطبت في ... هذا الوجود محبباً ومظفرا
إلف كألف في الوداد وإنما ... تبدو الحقيقة فيه مع بعد السرى
زفت إليك مليكة عذراء في ... ثوب الدلال تميس بدراً مقمرا
تبدو بأثواب الجمال تهتكاً ... وتغيب في ثوب الجلال تسترا

تسبي عقول أولي النهى بجمالها ... ومع الجلال تكلّ أبصار الورى
جليت معطرة بذكرك إنها ... أنفاس ودك نظمت لكَ أسطرا
نهج الهوى في الشرع نهج واضح ... فاسأل خبيراً فيه عما قد جرى

ـ وإنما أحببت أن أثبتها كاملة لأنها قصيدة بديعة غلب عليها الوصف ، نظمها سنة ١٩٧١ م .

ـ وله قصيدة بعنوان (الأم) يقول فيها واصفاً الأم :

سر الحياة وروضة الآمال ... رمز الوفاء سعادة الأجيال
أنشودة للروح رددها على ... وتر الفؤاد بلابل الأطفال
نغم القلوب به تفتح زهرها ... في الكون مبتسماً عن الآمال
بدر الوجود أضاء من أفق الدنا ... بين الجوانح نوره المتلالي
أمي قما أحلاك لفظاً في فمي ... أشدو بذكرك دائماً وأغالي
قد هام قلبي في هواك حقيقة ... وغدا ينعم دائماً بوصالي
لي من شهودك يقظة متأنّس ... فإذا الكرى أَفْضَى قطيف خيالي
ملأ الحنان جميع قلبك رحمة ... فغمرتني من عطفك المنهال
كم قد سهرت لكي أنام منعماً ... كم قد تعبت لراحتي ودلالي
أفنيت عمرك في سبيل سعادتي ... وبذلت لي من كل شيء غالي
فمتى أقوم بشكر ما أوليتني ... هيهات ذاكِ فليس لي بمنالِ
قصرت قواي عن الوفاء حقيقة ... لو أفتديك بمهجتي وبمالي
حسبي من البر الجميل مدائح ... أشدو بها طرباً بكل مجال
ذكراك عيد لا يزال مكرماً ... رمز الوفاء على مدى الأجيال

ـ وله في الرثاء قصائد مطولات جيدة ، وفي مدح النبي ﷺ ، وشعره يجمع بين عذوبة اللفظ ومتانة السبل وجمال المعنى .

● **كان اليعقوبي بحراً في علومه ، ولقد ترك عدداً من المؤلفات المطبوع منها والمخطوط . . هل لكم أن تطلعونا عليها ؟**

ـ مؤلفاته تبلغ نحو الخمسين بين كتاب ورسالة ومؤلف ومحقق أذكر منها:

١ ـ قبس من السيرة النبوية في جزءين
٢ ـ العقيدة الاسلامية . طبع على الآلة الكاتبة ودرس في الثانوية الشرعية .
٣ ـ الفرائد الحسان في عقائد الايمان . طبع بدمشق
٤ ـ شفاء التباريج والأدواء في حكم التشريح ونقل الأعضاء طبع بدمشق .
٥ ـ معيار الأفكار وميزان العقول والأنظار في علم المنطق .
٦ ـ النور الفائض في علم الميراث والفرائض .
٧ ـ تقويم النفس ـ مجموعة محاضرات أخلاقية تهذيبية .
٨ ـ قلائد الفرائد في الأدب .
٩ ـ الديوان الشعري .
١٠ ـ وله منظومة في العقيدة الإسلامية وأخرى في أداب البحث والمناظرة .
١١ ـ محاضرات في تفسير القرآن الكريم أملاها في جامع العثمان بدمشق .
١٢ ـ وله مجموعة من الرسائل والفتاوى الفقهية المطولة ألفها رداً على أسئلة كانت ترد إليه .

وحقق الكتب التالية .

١ ـ الأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي .
٢ ـ قواعد التصوف ـ طـ دمشق ١٣١١ هـ .
٣ ـ الحكم العطائية طـ١ دمشق ١٣٨٤ هـ .

● **ما هي النصيحة التي كان دائماً يرددها لتلامذته ؟**

ــ أهم ما كان يركز عليه ويوصي به العلامة الوالد رحمه الله تعالى (الإخلاص) . ويرى أنه أساس كل عمل ، ولا بد أن يسبقه تحرير النية ، والبعد عن الرياء .

● **أستاذ محمد اليعقوبي ـ ما هي امنياتكم وتوجيهاتكم للشباب المسلم ؟**

ــ أتوجه إلى الناشئة وجيل الشباب مستحثاً إياهم على الأخذ من علوم الشريعة بنصيب وافر ، فهي مفتاح العز في الدنيا والسعادة في الآخرة ، مذكراً

إياهم بأن « رتبة العلم أعلى الرتب » وأن على كل مسلم أن يكون داعية إلى الله تعالى وشريعته ، ولن يكون كذلك ما لم يسلك سبيلاً يلتمس فيه الفقه والتفسير والحديث وسائر علوم الشريعة « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل لـه به طريقاً إلى الجنة ».

« ليبلغ الشاهد منكم الغائب ».